

النبي صلى الله عليه وسلم أبعد الخلق عن الغدر

..... سأله بعد ذلك: هل يغدر؟ فقال: لا، ولكن نحن منه في مدة، لا ندري ما هو فاعل فيها؟! وذلك في المدة التي تعاهدوا فيها في عهد الحديبية يقول أبو سفيان لم أتمكن من إدخال كلمة إلا هذه..! يعني كأنه يقول: تمكنت وقلت هذا، مع أن هذا لا يفيد شيئاً! وهو صحيح... يقول: إننا في هذه المدة، ولا ندري ماذا يفعل في بقية المدة؟ ولكن أقره على أنه لا يغدر؛ وذلك لأن الغدر خيانة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ من الغدر الذي هو الخيانة، ويذكر أنه صفة للمنافقين، يقول: { أَرَبُّعٌ مِنْ كُرْبٍ فِيهِ كَانَ مَنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنْهُمْ كَانَ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُوهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصِمٌ فَجَرَ } يعني: إذا كان له عهد وذمة فإنه يغدر، ويخون في العهد، والله تعالى قد أمر بالوفاء بالعهد، فقال تعالى: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } يعني: فيما بينكم، وأكد عهد الله في قوله تعالى: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } يعني: أنكم إذا قلتم: أعاهدك بالله، أو علي عهد الله ألا أخون، فإنك يَلْرَمُكَ أن توفي بهذا العهد، وأن تفي به ولا تخون، وكذلك نزل قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } . هذه الآيات وما أشبهها تؤكد الوفاء بالعهد، فكان صلى الله عليه وسلم هو الذي، أو اشتهر بالوفاء بالعهد.. ذلك العهد الذي تعاهدوا على وضع الحرب بينه وبين قريش عشر سنين، وكان الذين نقضوا العهد هم قريش ومن دخل في عهدهم؛ وذلك لأنه لما تم هذا العهد دخلت خِرَاعَةُ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان بين بكر وبين خزاعة في الجاهلية قتال، وكانت خزاعة عيبة تُصِحُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنو بكر في عهد قريش، وكان بين بكر وبين خزاعة في الجاهلية قتال، وكانت خزاعة عيبة تُصِحُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنو بكر: لماذا لا تأخذون بالثأر؟ فقد تمكنتم من خزاعة، فغدروا وجعلوا يقتلون من خزاعة، واستمدوا قريشًا، فأمدتهم برجال، وأمدتهم بأسلحة، فكان ذلك خيانة من قريش وبنو بكر. ولما وقعت هذه الخيانة منهم أرسلت خزاعة وافتدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخيَّره بهذه الخيانة، ويقال له نصر بن سالم، أو نحوه أو عمرو بن سالم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنشده ذلك الرجز الذي يقول فيه: يا رَبِّ إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا إن قريشًا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا الوتير: هو الماء الذي قاتلوهم فيه. وقتلونا ركبًا وسجدا فانصر فذاك الله نصرًا أبدأ وادعُ عباد الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا .. إلى آخرها، فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: { نُصِرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ } . فعند ذلك لما علم أبو سفيان بأنه حصل منهم النقص جاء إلى المدينة يقول: جئت لأجدد العهد، وأزيد في المدة، ولما جاء إلى المدينة لم يستقبل منه أحد، فجاء إلى أبي بكر وقال: اشفع لي إلى محمد لعله يُجَدِّدُ العهد، فلم يَقْبَلْ، وجاء إلى عمر وقال: اشفع لي إلى محمد فقال عمر لو لم أجد إلا الدرَّ لَقَاتَلْتُكُمْ به!! فجاء إلى عَلِيِّ قَالَ عَلِيُّ أَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ أَسْرَافِ قَرِيْشٍ، لَكَ أَنْ تَجِيرَ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: وَهَلْ ذَلِكَ يَغْنِي؟ قَالَ: أَفْعَلُ.. فَوَقَفَ فِي النَّاسِ أَبُو سَفِيَانَ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَجْرْنَا الْعَرَبَ، فَلَا أَحَدٌ يُقَاتِلُنَا، وَلَا أَحَدٌ يَقْتُلُنِي، رَجِعْ إِلَى قَرِيْشٍ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا قَالَ، فَقَالُوا: مَكْرُوا بِكَ، مَاذَا تَنْفَعُ إِجَارَتِكَ وَأَنْتَ مِنَ الَّذِينَ سَاعَدُوا عَلَى الْخِيَانَةِ؟! وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذَا كَانَ سَبَبًا فِي فَتْحِ مَكَّةِ وَفِي دُخُولِ أَهْلِ مَكَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَوْفَى بِالْعَهْدِ، وَلَمْ يَخُنْ، وَلَمْ يَغْدِرْ.